فكما أنّ المؤمنين يؤمرون بتضحية أنفسهم في سبيل الله تقديماً لها عليها، كذلك يسمح لهم بذبح حيوان بشروطه حفاظاً على الأهم، ثم مثوبة للذبيحة حين ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ وقد يأتي القول الفصل حول حشر الدواب على ضوء الآية في السورة نفسها.

﴿. . . ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ وما أدراك ما ذلك اليوم، فقد اختلفت الأمة الإسلامية في «ما هو ذلك اليوم» فعلينا البحث والتنقير في ظلال الآية نفسها وبضمنها الروايات حتى نعرف بيقين وإتقان يوم السلب والإيجاب، سلباً لأطماع الذين كفروا من دينكم، وإيجاباً هو إكمال الدين وإتمام النعمة لكم.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ هنا حسب الظاهر وقضية وحدة الصيغة هو يوم واحد حصلت فيه أربعة أمور هامة لم تكن تحصل من ذي قبل، مهما أعدّت معداته:

١ - ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ. . .﴾، ٢ - ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، ٣ - ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾، ٤ - ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

فهنا بين الأركان الأربعة يتقدم جانب السلب: «يئس. . .» على مثلث الإيجاب في هندسة عمارة الدولة الإسلامية السامية بقيادتها الروحية والزمنية.

فما لم ييأس الذين كفروا من دينكم ليس له كمال ولا لنعمته تمام ولا لأصله رضى، إذاً فهذه الأضلاع ترسم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ في حاكمية «الله» منذ ذلك اليوم كما يرضاه.

إن قضية إكمال الدين وإتمام النعمة بعد يأس الذين كفروا من دينكم، أن يكون ذلك اليوم من أخريات أيام الرسول ﷺ أحيان كان يودّع

المسلمين وينفض يديه من بلاغ الإسلام، إذا فالآية هي من أخريات الآيات الرسالية النازلة عليه، يوم لم يبق له من أصل الدين بوصله وفصله أية هامة(١).

فهل يعني - بعد - يوم ابتعاث الرسول ﷺ؟ ولم يكن يومئذ لهم دين حتى يكمل به إلّا الشرك، ولم ييأس ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ لو كان لهم دين منذ بزوغه، بل كانت لهم أطماع شاسعة متوسعة لاستئصاله، لا سيما وأن الرسول ﷺ لم يكن له ولد من الذكران!، أو أنه فتح مكة المكرمة كما وعده الله له: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾(٢) فهنالك إتمام النعمة وإكمال الدين بـ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ﴾ كما فيه ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ بـ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.

فقد رجعت بذلك الفتح المبين عاصمة التوحيد ومهبط الوحي الأمين إلى الرسول الأمين ﷺ، ولكن ليس ذلك الفتح بمجرده مما يؤيس الذين كفروا - ككل - من دينكم، كما وأن بينه وبين رحلته ﷺ سنتين وقد نزلت فيها آيات تحمل أحكاماً أخرى وتوجيهات، كما و«ليتم ولينصر» بشارة

(١) عن المناقب الفاخرة للسيد الرضي رحمه الله عن محمد بن إسحاق عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: لما انصرف رسول الله ﷺ من حجة الوداع نزل أرضاً يقال له: ضوجان فنزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾ [المائدة: ٦٧] فلما نزلت عصمته من الناس نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس إليه وقال: من أولى منكم بأنفسكم؟ فضجوا بأجمعهم فقالوا: الله ورسوله، فأخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله لأنه مني وأنا منه وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي» وكانت آخر فريضة فرضها الله تعالى على أمة محمد ﷺ ثم أنزل الله تعالى على نبيه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(٢) سورة الفتح، الآيات: ١-٣.

للمستقبل وليس فتح مكة إلّا تقدمة له وذريعة، وبذلك يعرف - وبأحرى أنه ليس كذلك يوم عرفة، ولا يوم نزول البراءة وما أشبه فإن يوماً من هذه لم يكن ليؤيس الذين كفروا من دينكم حتى يكمل ويتم النعمة تماماً وكمالاً.

أو ترى أنه يوم إكمال الدين بأصوله؟ وقد ابتدأ بها صاحب الرسالة لزاماً وعاشها طول حياته مكرراً إياها مؤكداً لها! ولم تكن كذلك تؤيس الذين كفروا.

أو أنه يوم ختام القرآن؟ ولم يختم إلّا عند ختام عمره الشريف إذ لم ينقطع عنه الوحي المنيف، ثم وليس ختام الوحي بالذي يؤيس الذين كفروا من دينكم، بل قد يطمئنهم لإبطاله لانقضاء وحيه!، فإن مستمر الوحي أرجى، وهو بإياس الذين كفروا أحجى.

أم ترى أنه يوم إكماله بفروعه، يوم نزلت الآية نفسها؟ فكذلك الأمر! إضافة إلى أن تحريم ما حرم هنا له سوابق سوابغ، فلم تكن نازلة جديدة، أو جادّة تؤيس الذين كفروا، ثم أتت أحكام أخر وتوجيهات لم تأت من ذي قبل!. إنه يوم بلاغ استمرارية ذلك الدين المتين بقيادتيه الروحية والزمنية فيمن يمثلون الرسول الأمين، كما وأن ذلك البلاغ في آية البلاغ يقرر له هامة الحفاظ[1] على استمرارية هذا الدين: و﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ...﴾[2].

إذاً فذلك اليوم هو يوم بلاغ لما يؤيد الرسالة ببلاغها بعد إكمال الدين وإتمام النعمة في الشرعة بأصولها وفروعها، وما هو الإبلاغ استمرارية

(١) في الخصائص عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام قالا: لما نزلت هذه الآية (آية التبليغ) يوم الغدير وفيه نزلت: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾ قال وقال الصادق عليه السلام: أي: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بإقامة حافظه ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ أي: بولايتنا، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ أي: تسليم النفس لأمرنا.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

الحكم الرسالي القرآني بمن ينذر به وهو يمثل الرسول ﷺ فيما كان يفعل أو يقول على طول خط الرسالة إلى يوم الدين.

وهنا نجد إصفاقاً شاملاً في روايات الفريقين على نزول هذه الآية يوم الغدير بعد إصحار النبي ﷺ بولاية الأمر كنموذج أوّل بعده لعلي أمير المؤمنين.

ذلك وكما هو مأثور عن أصحاب الآثار أنه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ لم يعمر بعدها إلّا أحداً وثمانين يوماً أو اثنين وثمانين[1].

فالدين وهو النعمة الربانية - ولا سيما ذلك الأخير - ليس ليتم إلّا بقرار حاسم جاسم في نفسه لاستمراريته في قيادتيه الروحية والزمنية، فليست الأصول والفروع بنفسها بالتي تستمر لولا من يطبقها على ضوء الدولة الربانية الحاكمة الحكيمة بين المكلفين، كما ولا تفيد الدولة والنظام لولا تمام الانتظام لشرعة الله، فقد تجاوب الأمران يوم الغدير، حين لم يبق من الدين أمر إلّا وقد بيّن، اللهم إلّا استمراريته المفروضة يوم الغدير صراحاً جمعيّاً لم يحصل من ذي قبل مهما كانت له لمحات في فترات.

ولا يعني يوم الغدير - فقط - تأمير الأمير عليه السلام، فإنما هو كنقطة انطلاق لتلك الخلافة القدسية المعصومة الناهية إلى صاحب الأمر الحجة ابن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي به يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، فقد صدق قول الرسول ﷺ: «يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي».

---

(١) في التفسير الكبير للرازي ٣: ٥٢٩ عن أصحاب الآثار... وعينه أبو السعود في تفسيره بهامش تفسير الرازي ٣: ٥٢٥، وذكر المؤرخون منهم كما في تاريخ الكامل ٣: ١٣٤ وأمتاع المقريزي ٥٤٨ وتاريخ ابن كثير ٦: ٣٣٢ وعدّه مشهوراً والسيرة الحلبية ٣: ٣٨٢ أن وفاته ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول، مهما كان فيه تسامح بزيادة يوم على الاثنين والثمانين.

وإمرة صاحب الأمر لها النصيب الأوفر من ذلك المربع لهندسة الإسلام، لأن الأئمة الإحدى عشرة قبله لم تتح لهم فرص الإمرة بما اغتصبت حقوقهم. وقد ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾[1]، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[2].

ذلك وقد تصافقت روايات الفريقين أن الآية نزلت يوم الغدير حيث بلغ الرسول ﷺ إمرة الأمير بعدما نزلت آية التبليغ، وممن رواه بعد إجماع أئمة أهل البيت عليهم السلام في روايته أبو سعيد الخدري[3] وابن عباس[4] وجابر[5]

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ١٠٥-١٠٧.

(٣) مما روي عن أبي سعيد الخدري ما رواه الحافظ ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم حين قال لعلي: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» ثم رواه عن أبي هريرة أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعه ﷺ من حجة الوداع (تفسير ابن كثير ٣: ١٤).
والسيوطي في الدر المنثور ٣: ٢٥٩ أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: لما نصب رسول الله ﷺ علياً عليه السلام يوم غدير خم فنادى له بالولاية هبط جبرئيل عليه بهذه الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾ [المائدة: ٣].
وفيه أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري مثله وفي آخره: فنزلت ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾ فقال النبي: «اللَّهِ أَكْبَرُ»... ونقله بهذا اللفظ الأربيلي في كشف الغمة (٩٥).

(٤) الثعلبي في تفسيره عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس روى قصة الغدير.

(٥) أبو الفتح النطنزي في كتابه الخصائص العلوية عن الخدري وجابر الأنصاري أنهما قالا: لما نزلت: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾ قال النبي ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبو حامد سعد الدين الصالحاني قال شهاب الدين أحد في توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل: وبالإسناد المذكور عن مجاهد قال لما نزلت هذه الآية بغدير خم فقال رسول الله ﷺ وذكر مثله.

وأبو هريرة[١] وسعيد بن سعد بن مالك الخدري والبراء بن عازب[٢] وزيد بن أرقم[٣] أخرجه ورواه عنهم عدد كثير التابعين وتابعي التابعين والمصنفين والمفسرين.

وحق لرسول الهدى ﷺ أن يقول قوله حين نزول الآية: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام[٤] وسوف نستقصي روايات الغدير عند البحث عن آية التبليغ إن شاء الله تعالى.

وترى أن ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ ...﴾ - إلى - ﴿دِينًا﴾ هل هي آية مستقلة تنزيلاً ثم توسط هذه الآية تأليفاً؟ أم هي هيه تنزيلاً وتأليفاً؟ فما هي الصلة بينها وبين ما احتفت بها من قبل ومن بعد؟!.

إن الأصل المعني من القرآن هو تأليفه، فإنه هو الأليف الصائب بوحي الله تعالى حيث يراه أنسب ما يصح ويمكن من تأليف الوحي النازل نجوماً منفصلة لفظياً ومعنوياً.

---

(١) ومما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: ألست أولى بالمؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ قال: من كنت مولاه فعلى مولاه فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم فأنزل الله الآية...».

(٢) الثعلبي في تفسيره عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال لما أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع كنا بغدير خم فنادى أن الصلاة جامعة... وروى قصة الغدير.

(٣) وممن أخرجه عنه الثعلبي في تفسيره ونقل جملة من قصة الغدير ومنها فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

(٤) قد أخرج العلامة الأميني في الغدير ١: ٢٣٠ - ٢٣٨ حديث نزول آية الإكمال يوم الغدير عن ستة عشر مصدراً وحديث آية التبليغ عن ستين مصدراً والتفصيل إلى تفسير آية التبليغ.

فقد تناسب مناسبة حقة حقيقية ناصية السورة ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[1] فإن عقد الولاية المستمرة المحمدية في أهل بيته عليهم السلام هو من أهم العقود.

فلقد توسطت آية إكمال الدين وإتمام النعمة كشطر آية هنا، جمعاً بين العقود العقيدية والسياسية الصالحة والعقود العملية، فإن عقود الشرعة الربانية هي كلّ لا تتجزأ، كلّ متكامل متجاوب كلبنات بناية واحدة مهما اختلفت شكليات.

فهنا سواء في واجب الوفاء بالعقود ما يختص بالتصور والعقيدة والعقلية الإيمانية شعوراً، وما يختص بالعبادات شعاراً وغير شعار، أو يختص بالحلال والحرام بين شعور وشعار، وما يختص بالتنظيمات الاجتماعية كعقد الولاية الرسالية بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، جمعاً بين الواجبات النفسية والبدنية، رعاية لمجمع الإنسانية: النفس والبدن.

ثم كما الاضطرار في مخمصة بدنية وهي الجوع القارع يسمح لأكل ما حرم من الميتة وما أشبه قدر الضرورة المبقية لحياة.

كذلك الاضطرار في مخمصة نفسية يسمح في القعود عن تحقيق لإقامة القيادة الروحية والزمنية مستمرة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وترى المسلمين اضطروا في مخمصة في تنحّيهم عن تطبيق واجب الخلافة الإسلامية في علي وولده المعصومين عليهم السلام؟!.

أو لم يتجانفوا لإثم في مأثمة غصب الخلافة الحقة التي هي رمز ليأس الذين كفروا من دينكم وإكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب بإسلامنا؟.

فهل إن إسلام الاستسلام أمام السلطات الجائرة زمن المعصومين عليهم السلام

(١) سورة المائدة، الآية: ١.

وبعدهم، ذلك إسلام مرضي لرب العالمين، فالذين كفروا يائسون من القضاء عليه وإضعافه واستضعاف المسلمين العائشين تحت أنياره؟! وهل إن ذلك من إكمال الدين وإتمام النعمة أن يعيش المسلمون تحت وطأة الاستعمار الاستثمار الاستحمار الاستكبار الاستبداد الاستخفاف الاستضعاف؟!.

يعيشون بين هذه الأبواب الجهنمية يمينية ويسارية متخلفة عن الشجرة الزيتونة المحمدية التي هي لا شرقية ولا غربية؟!.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ يوم الغدير، الذي بلغ فيه البشير النذير استمرارية القيادة الإسلامية السامية في الصالحين من أمته، معصومين زمنهم، والربانيين من علماء الأمة زمن الغيبة.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ هو اليوم الذي فيه ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ يئسوا من زواله واضمحلاله، حيث اجتمع إلى كماله في نفسه وتمام النعمة فيه، ما بالإمكان أن يدير رحى المجتمعات البشرية مهما طالت وكثرت.

اجتمع إلى ذلك بقاء واستمرار قيادته الروحية والزمنية، فإن رمز استمراره وتحليقه يوماً ما على ربوع الإنسانية جمعاء، فدور الخلافة المعصومة يجمع في نفسه تبيين القرآن والسُّنة ما لم يكن ليبيّن زمن الرسول ﷺ إلّا لأبواب مدينة علمه كعلي وفاطمة عليها السلام وولدهما الأحد عشر، إضافة إلى القيادة الرسالية التي كان يحملها الرسول ﷺ ومن ثم دور الغيبة الكبرى المتوسطة بين عصر الحضور حيث يقوده العلماء الربانيون على ضوء الكتاب والسُّنة.

فدور التبيين مكمّل لدور التشريع في بعدين اثنين، فلم يكن الدين مكمّلاً، والنعمة متمّمة، والإسلام مرضياً، إلّا بهذه الاستمرارية السامية.

صحيح أن الرسول ﷺ كان يبيّن الخلافة المعصومة أحياناً كثيرة،

ولكنها لم تكن تعدو أجواء خاصة ولأشخاص خصوص، فأين هي وأين البلاغ في جو الغدير بتلك الصورة الوضاءة الهامة التي جلبت أنظار الحاضرين الذين كانوا هم خلاصة المسلمين في عصر النبي ﷺ وكلاسة عن جمعهم أجمعين.

ذلك هو إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب لنا إسلامنا لو حلّق في استمراره على كل التاريخ الإسلامي المجيد!.

والقول إن التارك لما هو إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب وهو أهم من أصل الدين أحرى أن يسمى كافراً أو مرتداً ممن ترك فرعاً من الدين، مردود بأن الترك واقعياً ليس كفراً ولا ارتداداً، إنما هو الردّ على الله ورسوله عقيدياً إظهاراً باللسان أو أياً كان فالمنافق ما لم يظهر تكذيباً للدين يعتبر مسلماً، والمؤمن إذا أظهر تكذيباً كان مرتداً، فالذين تركوا تحقيق الولاية قاصرين أو مقصرين هم أولاء مسلمون كسائر المسلمين، اللهم إلّا من صرح بتكذيب الرسول فيما كان يفعل أو يقول، فأمّا المأوّل لقوله قاصراً أو مقصراً تبريراً لواقع اتجاهه فلا يعد مرتداً أو كافراً، وإلا لم يبق من المسلمين إلّا نزر قليل.

فالشرعة التي تزول وتذبل بموت حاملها الأول لا يخشى منها مهما كانت كاملة، فكل نظام قانوني صالح بحاجة لاستمراره إلى صالح التطبيق الجماهيري الذي لا يصلح إلّا تحت رعاية حاكمية قديرة حكيمة، فبفساد كلّ من القانون والحاكم به يموت أو يضعف القانون، فضلاً عن فسادهما مع بعض.

وكما أن ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ضمان للعزة كذلك ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ كما ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[1] وهكذا نؤمر

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

في ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[١] أن نؤسّس جمعية الاعتصام الصالح بحبل الله حتى نعتصم من بأس الكافرين.

فـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ككل، أياً كانوا وأيان لا ييأسون من ديننا أن يزول بنفسه أو يزال إلّا بانضمام استمرارية القيادة الصالحة إلى صالح القانون وهو القرآن، فما دامت الحاكمية الطليقة للقرآن بالحكام الصالحين على ضوئه فالذين كفروا هم في إياس مطلق مطبق، وكما يئسوا في الدولة الأولى الإسلامية التي أسسها الرسول ﷺ مهما اختلفت الدرجات، ومن ثم لما نقضوا عهد الخلافة الصالحة إلى الخلافة الطالحة طمع الذين كفروا في ديننا حتى آل أمرنا إلى ما آل.

ذلك! ومن أبرز ملامح الضرورة القيادية الصالحة لتطبيق القرآن أننا لا نجد ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بصورة مطلقة مطبقة إلّا ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ وهو يوم قرار الاستمرار للدولة المحمدية ﷺ، المبيّن فيه الكتاب والسُّنة بصورة عاصمة معصومة.

صحيح أن الذين كفروا لا يستطيعون على أية حال أن ينقضوا ديننا أو أن ينقصوا منه ببرهان، ولكنهم يحاولون في إبعاد المسلمين عن القرآن، وزعزعة إيمانهم وإيقانهم بهذا الدين المتين لولا السلطة الروحية والزمنية القرآنية على طول الخط.

فالدعايات المضلّلة من الذين كفروا وسائر المحاولات الشريرة ودوائر السوء المختلفة، المتربصة بالذين آمنوا، لا تزال مستمرة حتى يجعلوا الدين في عزلة بعيدة عن أهله، رغم نصوع براهينه وسطوح مضامينه.

كما وأن الهجمات الحربية المتواصلة منهم تحتل أراضينا وأنفسنا ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[٢].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.